وبالوالديْـــن إحسانـــاً

(خطبة جمعة 30 من ذي الحجّة 1435هـــ الموافق لــ 24 أكتوبر 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله تعالى –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله تعالى –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ

﴿102﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر المسلمين، حديثنا في هذه الجمعة المباركة، بعنوان:

وبالوالديْــــن إحسانـــــًا

إخوتي الكرام،

قال تعالى:

" قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . . ﴿151﴾ " **سورة الأنعام.**

الجمعة الماضية، كانت تنتظرني أمام بيتي امرأةٌ عجوزٌ، شاركت في حرب التّحرير المجيدة، قد نال منها العمر.

أتدرون لماذا جاءتني؟.

جاءت لتتصدّق بمصحفٍ، راجيةً من الله تعالى أن يغفر لإبنها، الّذي رمى بالمصحف في الأرض، وهو ينهر أمّه، الّتي غيّرت مكان إناءٍ قد وضعته زوجته في مكان آخر، فشكت الزّوجة الأمّ لإبنها، ففعل فعلاً يكفر به، وذلك بِرَمْيِهِ المصحف في الأرض، جاءت تسأل هل الله يعفو له؟ وما الّذي ينبغي أن يفعله ابنها ليعفو الله عنه؟.

سبحان الله!؟ ابنٌ عاقٌّ يعصي أمّه وينهرها، وهي تتصدّق بمصحفٍ لعلّ الله يعفو عنه.

وأنا أعلم أنّ هناك شبابًا مغضوبًا عليهم، يمدّون حتّى أيديهم، ويهدّدون آباءهم وأمّهاتهم، ليعطوهم المال قسرًا وعنوةً، من أجل المخدّرات وغيرها.

واعلموا أنّ عقوق الوالدين من الموبقات السّبع، وهي من أكبر الكبائر، كما أخبر ذلك رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، فقد أخرج البخاريّ ومسلمٌ وغيرهما عن أبي بكرٍ – رضي الله عنه – ، قال: { **قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –** : (**ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر؟**) **ثلاثًا، قلنا:** (**بلى يا رسول الله!**)، **قال** : (**الإشــراك بالله، وعقــوق الــوالدين،** . . .) }.

بل إنّ الله تعالى لا ينظر إلى عاقٍّ لوالديه، ولا يدخل الجنّة مع أوّل الدّاخلين، أخرج النّسائيّ والبزّار واللّفظ له بإسناديْن جيّديْن، والحاكم وقال صحيح الإسناد، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – ، عن رسول الله – صلّى الله عليه وســلّم – ، قال: (**ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، ومدمن خمرٍ، والمنّان عطاءه. وثلاثة لا يدخلون الجنّة، العاقّ لوالديه، والدّيوث، والرَّجُلَةُ من النّساء** . . .).

ولا تزال صورة ابنٍ بارٍّ بوالده في موسم الحجّ، وأنا أراه يجرّ أباه تارةً، ويحمله تارةً في السّعي بين الصّفا والمروة، وهو يبتسم من كثرة طلبات أبيه وشكاويه.

ولقد أعطانا ربّنا الكريم في كتابه العزيز ما ينبغي أن يكون عليه الأبناء مع الآباء من الطّاعة والإحسان، والتّذلّل والخضوع، والإحترام والتّقدير، قال سبحانه في حقّ إبراهيم وإسماعيل – عليهما السّلام – :

" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿102﴾ " سورة الصّافّات.

رحمةٌ كبيرةٌ من الأب إبراهيم – عليه السّلام – :

"يَا بُنَيَّ (يا ولدي، يا فلذة كبدي) إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى "

وكأنّه يشاوره، وهو في الحقيقة يريد أن يُهَــيِّــئَــهُ، لأنّه عالمٌ بأنّه وحيٌ من عند الله تعالى، وأنّ الأمر متعلّقٌ برضاه لكسب الثّواب.

وانظروا إلى إجابة الإبن، ليس فقط يُطِيعُ أباه الّذي سَيَنْحَرُهُ، لم يطلب منه ترك أصحاب السّوء، لم يطلب منه القيام بواجب الشّراء، لم يطلب منه رعايته وأخذه إلى الطّبيب، لم يطلب منه الإنفاق عليه، ولو كان كلّ ذلك لهان على إسمــاعيل – عليه السّلام – ، ولكن يطلب منه أن يقدّم رقبته لينحرها طاعةً لله تعالى، فلا يَنْسَ الولد الأدب وهو يقدّم نحره لأبيه، فيقول:

"يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ".

هذه هي النّبوّة، احترامٌ، وتقديرٌ، وتذلّلٌ، وخضوعٌ في المعروف.

إنّ من فرط قيمة الآباء والأمّهات عند الله، أوجب علينا الإحسان إليهما حتّى مع كفرهما، فما بالك مع إسلامهما وصلاحهما؟، أَلَمْ يَقُلْ سبحانه:

" **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا . . . ﴿15﴾** " **سورة لقمان.**

وأعطانا ربّنا على ذلك المثل الأعلى من قصّة أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السّلام – مع أبيه المشرك، فلننظر كيف عامل إبراهيم – عليه السّلام – أباه آزر، مع كفره وضلاله، وشركه وانحرافه:

" **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي**

أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ " **سورة مريم.**

وانظروا إلى هذا النّداء لأبيه الّذي فيه عطفٌ ولينٌ، ورحمةٌ بأبيه: **يَا أَبَتِ، يَا أَبَتِ،** ومحاولاً إقناع أبيه عقلاً، أنّه ما ينبغي أن يعبد ما لا يسمع ولا يبصر، ثمّ يبيّن له أنّ الله أوحى إليه، فَلَهُ من العلم ما ليس عنده، ثمّ يختم كلامه بلمسة حنانٍ وخوفٍ، وعطفٍ وحيرةٍ على أبيه، وأنّه يخشى عليه من العذاب، فهو يرأف لحاله ويحزن لمآله، هذا هو أسلوب الأبناء مع الآباء، حتّى وهم يختارون طريق الضّلال والإنحراف، فما بالك إذا كانوا مسلمين، يؤدّون الفرائض والطّاعات.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

معاشر المسلمين،

من لم يُحْسِنْ إلى والديه فهو أعجز لأن يُحْسِنَ لأحدٍ في المجتمع، سواءًا كان زوجةً أو ولدًا أو غيره،

من عجز عن الإحسان إلى والديه فهو أعجز من أن يفعل خيرًا في هذا المجتمع،

إذا أحببت أن تعلم رجلاً إن كان فيه خيرًا أم لا، فانظر إلى إحسانه إلى والديه، فإن كان مسيئًا فكبّر عليه أربعًا وَانْسَهُ، لا تنتظر منه خيرًا، وكلّ واحدٍ منّا يزن حاله مع والديه.

انظروا معي حبّ أبي هريرة – رضي الله عنه – لأمّه، روى مسلمٌ عن أبي هريـــرة – رضي الله عنه – يقول: { **كنت أدعو أمي ألى الإسلام وهي مشركةٌ، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ما أكره، فأتيت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وأنا أبكي، قلت: (يا رسول الله! إنّي كنت أدعو أمّي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فَادْعُ الله أن يهديَ أمّ أبي هريرة)،**

فقال رسول الله – صلّـى الله عـليـه وسلّـم – : (اللّهمّ اهْدِ أمّ أبي هريـرة)، فخرجتُ مستبشرًا بدعوة نبيّ الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، فلمّا جئت فَصِرْتُ إلى الباب، فإذا هو مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أمّي خَشْفَ قدميّ،

فقالت: (مكانك يا أبا هريرة!)، وسمعت خَضْخَضَةَ المـاء }.

قال: { **فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عن خمارها، ففتحت الباب،**

ثمّ قالت: (يا أبا هريرة! أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله) }.

قال: { **فرجعتُ وأنا أبكي من الفرح }.**

قال: { **قلت: (يا رسول الله! أَبْشِرْ، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أمّ أبي هريرة)، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيرًا . . . }.**

تلك هي البنوّة أو لا تكون تلك هي الرجولة أو لا تكون تلك هي المروءة أو لا تكون ذلك هو الإسلام أو لا شيء.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رِضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين والمصريّين وسائر بلاد المسلمين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.